ملف

أحد الوجوه البارزة في الأدب الأميركي المعاصر

جورج سوندرز...

صلاح باديس

عندما سُئل الكاتب الأميركي جورج سوندرز (1958) عن طريقة تنظيمه لكتبه، أجاب بأنّه يحب تركها مفروشة في كل مكان، نصف مقروءة. يذهب إلى مدينة أخرى، يشتري نسخة جديدة، يُضيّعُ هذه النسخة في مكان ما، يعود إلى بيته، لا يستطيع تحديد مكان النسخة الأولى، فيشتري نسخة ثالثة، سيدلقُ عليها بعضاً من القهوة وهو يقرأها.

عند سوندرز، هناك دائماً إجابة ساخرة تنتظر الخروج. مثلاً قبل روايته الأولى «لِنكُن في الباردو» (بلومسبيري . 2017)، كان سوندرز يعتبر نفسه «بيوريتانياً» متعصّباً للقصة القصيرة، هو الذي صار يُقدَّمُ في السنوات الأخيرة كمُعلّم للقصة في اللغة الإنكليزية. «أناً أكتب رواية؟ أبداً...» يُردّد في برنامج تلفزيوني، ساخراً من جملته الأثيرة، لكنّه ارتكب هذا الفعل وهو على مشارف الستين، مما جعله يُتوّج بجائزة «مان بوكر» لهذا العام.

اكتشف سوندرز القصة، كجنس أدبي جاد وصارم في منتصف الثمانينيات، عندما كان يتسكع بين أعمال صغيرة وحفلاتٍ كبيرة في بلدته بالقرب من شيكاغو، بلا عمل ثابت. في إحدى الحفلات، وجد إعلاناً في مجلة «بيبول» عن ماستر في الكتابة الإبداعية في «جامعة سيراكوس-نيويورك» تحت إشراف ريموند كارفر، أهم قاص أميركي في نهاية القرن العشرين، وجاي ماك-آينرناي، الروائي الشاب الذي اشتهر بروايته «برايت لايتس بيغ سيتي». لم يتردّد سوندرز لحظة. يقول عن تلك الفترة: «كنت يائساً فعلاً، حدّ أن والدي الذي خسر تجارته، كان يقول لي: جورج هل فكّرت في الانضمام للجيش؟ لقد كان يريد التخلّص مني». سجّل سوندرز في المنحة، وتمّ قبوله، ليلتحق بنيويورك وفي جيبه 119 دولاراً.

في تصريح شهير لماك - آينرناي عن ريموند كارفر، يقول: «اكتشاف نثر كارفر بالنسبة لجيلي، سبّب لنا صدمة شبيهة بالصدمة التي سبّبتَها، قبل نصف قرن، جُمل همنغواي المصقولة». سوندرز تعرّض للصدمتين، اكتشف همنغواي مبكّراً وصار يقلّده، يريد أن يكتب مثله وأن يعيش مثله، رافقه طيف همنغواي لسنوات، ثم درسَ عند كارفر، هذا الأميركي الذي شيّدَ كاتدرائية من القصص القصيرة. وفي «جامعة سيراكوس»، تغيّرت حياة سوندرز وكتابته إلى الأبد. تعرّف بفتاة معه في برنامج الكتابة، وبعد قصة حب دامت ثلاثة أسابيع، تزوّجا، وهناك أيضاً قرّر أنّ هذا هو ما يريده، ويجب عليه أن يقرأ أكثر ويكتب أكثر... وهذا ما كان.

وُلِد سوندرز في تكساس، لكنّه عاش مع عائلته في ضاحية شيكاغو. درس الجيوفيزياء في الجامعة، وسافر بعدها إلى سومطرة ليعمل في شركة نفطية. وبعد أشهر من العمل، أصيب بمرضٍ بعدما سبح في نهرٍ تتبرّز فيه القردة. عاد إلى أميركا وهو شاب في الثالثة والعشرين، وقرّر أن يذهب «على الطريق» مع فتاة يعرفها من بلدته. سافرا متطفّلين على السائقين في مدن أميركية عدة. جرّبا حظهما

شخصيات غريبة سحقتها الرأسمالية ومجتمع الاستهلاك

في لوس أنجلوس وكانت التجربة صعبة، عاد إلى بلدته عندما خسر والده التجارة التي كان يديرها، فوجد نفسه مضطراً للعمل في البناء وتركيب السقوف، حتى صادف ذلك الإعلان عن دورة الكتابة الإبداعية ذات سهرة.

بعد انتهاء فترة «جامعة سيراكوس»، استقرّ سوندرز مع زوجته بولا في نيويورك نهاية الثمانينيات. وعندما قرّر أن يصير أكثر التزاماً بالكتابة، وجد نفسه مضطراً أن يعُيل زوجته وابنته حديثة الولادة. شهادته الجامعية كانت قد انتهت صلاحيتها، «لم أكُن أعرف أن الشهادات تموت!»، فاضطر لقبول وظيفة كاتب تقني في شركة صيدلة. «لم يكُن أحدٌ يعرف أني أكتب قصصاً، كُنت أجلس كل يوم لأكتب كتالوغات ونشرات أدوية، وعلى نفس الكومبيوتر ولمدة ثماني سنوات، كتبتُ مجموعتي القصصية الأولى «أرض- حرب- أهلية في تدهور سيّئ»».

صدرت هذه المجموعة سنة 1996، عندما بلغ سوندرز 37 سنة في نفس العام الذي صدرت فيه أضخم وأشهر رواية لديفيد فوستر والاس «دعابة لانهائية» (1500 ص). وعندما كان المجتمع الأدبي